

الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم

[191] أحيانا ، كما لو رأينا الذئب لا يعتدي على الشاة ، والسنور لا يلاحق الفأرة مثلا ، فلسوف نتعجب من ذلك ، نتناقله في مجالسنا ، لان ذلك على خلاف ما عهدناه من فطرته وجبلته ، وغريزته ، وإن لم يكن بدافع من عقله ، لانه لا عقل له ، وإنما بسبب الدربة ، والعادة ، والالف. أما الانسان ، فإنه لو ظلم ، أو كذب ، أو اغتاب ، أو أتلف ، أو فعل غير ذلك مما هو في غير مصلحته ، وعلى خلاف الدين ، والعقل ، فإنه يكون قد تصرف على خلاف مقتضيات فطرته وجبلته ، وانحرف عن مساره ، وخرج عن إنسانيته ، فهو إذن أضل من الانعام . أضف إلى ذلك: أننا حين نرى الانعام لا تقتحم ما يضرها ، ونرى الانسان لا يتورع عن اقتحام ما يضره ، ويهدم سعادته ، ، استجابة لشهوته وهواه ، وغريزته ، فلا بد أن نقول: إن الانعام - ولا شك - أهدى منه وأرشد . فاتضح مما تقدم: أن الانسان مجبول على السعي إلى ما ينفعه ، والابتعاد عما يضره ، وأن أحكام الاسلام موافقة للفطرة والطبيعة الانسانية ، وأن ابتعاد الانسان عما يضره ويشقيه ، وسعيه إلى ما فيه سعادته وراحته أمر فطري فيه ، لا يمكنه التخلف عنه ، ولا التخلص منه ، ولجل ذلك نجد أن الانسان العاقل وإن لم يكن مؤمنا - نجده - بحكم فطرته لا يقدم على الامور التي يقطع بضررها وفسادها ، فهو لا يقدم - مختارا - على شرب السم مثلا ، بل هو لا يتواجد في أمكنة يعلم أن تواجده فيها سوف يلحق به ضررا بالغا من نوع ما ، ولا يقدم على قتل ولده ، أو ما شاكل ، إلا إذا قهر على ذلك وغلب عليه جسديا ، أو كان ثمة ما يهيمن على عقله ، كنوم أو غضب ، أو غير ذلك ، مما يمنع عقله من التأثير والفعالية ، ومن السيطرة على الموقف . بل وحتى الطفل فإننا نراه يتجراً على النار ، ولكنه بعد أن تؤلمه ،
